بالنفس اس كل فساد وان يكون اتهامه لفهمه اكثر من اتهامه لفهم اسلافه الذين
عاشروا الرسول صلى الله عليه وسلم وشاهدوا التنزيل وبالله التوفيق الى هنا كلام الراغب وبعض
الاكابر قال ليس المراد اى بالنهى عن التفسير بالراى ان لا يتكلم احدًا الا بما سمعه اذ لو شرط ذلك
لرد ما يقول ابن عباس رضى الله عنهما وابن مسعود رضى الله عنه وغيرهما ويقال هو تفسير بالراى
لانهم لم يسمعوه من الرسول ولما اختلف المفسرون فى بعض الايات بتاويل لا يمكن الجمع بينهما فكيف
يكون الكل مسموعًا وما كان لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس رض اللهم فقهه فى الدين
وعلمه التاويل وجه اذ كان التاويل مسموعًا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك وتخالف
قوله تع لعلمه الذين يستنبطونه فانه تع اثبت لاهل العلم الاستنباط ومعلوم انه وراء السماع فلكل
احد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد عقله واما النهى فانه ينزل على احد وجهين احدهما
ان يكون له راى فى الشئ وميل اليه من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح
غرضه ولو لم يكن ذلك الراى والهوى لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا تارة يكون
مع العلم بانه ليس المراد بالاية ذلك ولكن يلبس على خصمه كالذى يحتج ببعض ايات القران
على تصحيح بدعة وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذى
يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برايه فيكون قد فسر برايه اى رايه هو الذى حمله على ذلك التفسير
ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران
والحديث ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به ذلك كمن يدعوا الى الاستغفار
بالاسحار فيستدل عليه بقوله م تسحروا فان فى السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر
وهو يعلم ان المراد به الاكل وكمن يدعوا الى مجاهدة القلب القاسى فيستدل عليه بقوله تع
اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة
تحسينًا للكلام وترغيبًا للمستمع على المرام وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية فى المقاصد
الفاسدة لتغيير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم
ويحملونه على امورهم ويعلمون قطعًا انه غير مامور به والوجه الثانى ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر
العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القران وما فيها من الالفاظ المبهمة والمبدلة
وما فيها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم بظاهر التفسير وبادر
الى استنباط المعانى بمجرد فهمه العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من فسر القران برايه فالنقل والسماع
لا بد منه فى ظاهر التفسير اولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك ليتسع للتفهم والتدبر ويكون
لكل واحد حظ فى الترقى الى درجة منه فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك
فى معرفة ظاهر التفسير فظاهر التفسير لا يغنى عنه وليس هو منافيا لظاهر التفسير بل هو
استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما يريد بفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر

وفى الحديث

وفى الحديث المراء فى القرآن كفر ان الشك فى كونه كلام الله تعالى كفر وقيل معنى المراء ان
ينكر الرجل قراءة من القراءات السبع فيقول هذه القراءة ليست من القران فيكون منكرا للقران
وهو كفر وقيل المراد بالمراء هو التدارئ وهو ان يروم تكذيب القران بعضه ببعض للقدح
فيه ومعنى المراء المجادلة كما مر وقال فى الراغب والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية قال
تع ما كانوا فيه يمترون وقال تع فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرًا واصل ذلك من مريت الناقة
اذا مسحت ضرعها للحلب انتهى فالمراد ههنا مجادلة الرجل ومعارضته مع غيره فى معانى القران ذاهبًا
كل منهما الى ما رسخ فى ذهنه ومتكلفا فى تاويله مما يوافق رايه وهواه بترك الاتباع الى اثر
السماع فان مجادلة الرجل فى القران بهذا الوجه كفر لكونها تفسيرًا بالراى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال فى القران برايه فقد كفر وما قالوه من ان المراد بالمراء فى الحديث الشك فى كونه كلام الله
او انكار الرجل قراءة من القراءات السبع بان يقول هذه القراءة ليست من القران او التدارؤ بان
يروم تكذيب القران بعضه ببعض للقدح فيه غير مناسب ههنا ويدل على ما قلنا قوله لان
احد المتمارئين اى المجادلين على الوجه المذكور كاذب على الله تع اى مفتر عليه لتعذر اصابتهما
الحق لان الحق فى موضع الخلاف واحد عندنا ويجوز ان يكون كلاهما كاذبين لعدم اصابتهما
الحق معًا ولهذا اى لكون الحق واحدًا يجوز ان يخطئ المجتهد ويصيب لان المختار انه اى المجتهد
فى موضع خطائه مصيب ابتداء مخطئ انتهاء اى يصيب فى ابتداء اجتهاده ويخطئ فى انتهائه اى فى
وصوله الى مطلوبه ولهذا يكون ماجورًا فى خطائه كما كان فى صوابه قال النبى صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن العاص رض احكم على انك ان اصبت فلك عشر حسنات وان اخطأت فلك حسنة
والثواب لا يترتب على الخطاء يقينا فلا بد من ان يكون مصيبًا فى الابتداء لنيل الثواب والخطاء
فيما نحن بصدده ليس كخطاء المجتهد وفى بعض النسخ وقع اى ان احد المتمارئين بدل لان احد
المتمارئين وان كان فيه معنى ايضا الا انه لا يخلوا عن ركاكة وتعسف ويحتمل ان
يكون تصحيفًا من النساخ وان لا يضرب كتاب الله تع بعضه على بعض انتصاب بعضه على كونه
بدل البعض من الكل من الكتاب اى لا يجعل بعض الاى مناقضًا للبعض اخر كما فعله بعض من
قدح فى اعجازه من جهة عدم الاختلاق والتناقض مع ما فيه من الطول والامتداد حيث قالوا
فيه تناقض من وجوه الاول انه تع قال وما علمناه الشعر وفى القران ما هو شعر نحو قوله تعالى
من يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب فانه بدون لفظ مخرجا من بحر المتقارب
على وزن فعولن فعولن فعولن فعل ونحو قوله تع واملى لهم ان كيدى متين وقوله تع ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين فاذا اشبع كسرة الميم فى يخزهم وفتحة النون
فى مؤمنين كان موزونا بلا شبهة سيما اذا تصرف فيه بادنى تغيير فانه يوجد فيه شئ كثير
على وزان بحور الاشعار الثانى ان فيه كذبا اذ قال تع ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقال تع ولا رطب

يريد به چلبى ع
وبعض الشارحين اختار تلك النسخة ورجحها منه

Copyright © King Saud University